موقف حركة حماس من الثورة السورية

م.د. نادية فاضل عباس فضلي

منذ اندلا ع الثورات العربية ومن بينها الثورة السورية قبل أكثر من سنتين ، وحركة حماس وضعت على المحك مع النظام السوري من جهة ومساندة الشعب السوري الثائر من جهة أخرى ، إذ إن سوريا عادة ما توصف بأنها دولة ممانعة في مواجهة إسرائيل ، فضلاً عن كونها دولة داعمة لموقف حركة حماس وحركة والجهاد الإسلامي وهاتين الحركتين بطبيعة الحال يتسم نهجها بكونه مقاوم ورافض أيضاً لمسيرة التسوية مع إسرائيل، كما إن ترابط حركة حماس الوثيق مع سوريا جعلها تخشى من تداعيات موقفها من النظام السياسي السوري مما ينعكس ذلك على وضعها السياسي والاقتصادي والأمني والإستراتيجي ، وخاصة وإن حركة حماس عادة ما توصف من قبل إسرائيل بأنها حركة إرهابية يجب إن تطالها وتدمر مرتكزاتها وقواعدها السياسية والقتالية في أي وقت .

وحركة حماس كانت تخشى من اتخاذ أي موقف سلبي من النظام السوري خوفاً على لاجئيها الفلسطينيين المتواجدين في سوريا الذي يتجاوز عددهم النصف مليون نسمة ،مما قد يعرضهم إلى خطر محدق وبالفعل تعرض اللاجئين الفلسطينيين في مخيم اليرموك إلى القتل والتهجير مع سوء الأوضاع الخدمية والصحية والاقتصادية .

ولطالما مثلت الثورة السورية منزلقاً خطيراً لحركة حماس ، فسوريا كانت قد مثلت الداعم الإستراتيجي لحماس ، في الوقت الذي كانت تعاني فيه الأخيرة من القطيعة والجفاء مع الدول العربية ، فالمكتب السياسي للحركة مقره دمشق منذ أكثر من عشر سنوات وبالتالي ليس من السهولة إن تتخذ حركة حماس موقفاً معادياً لنظام الأسد الذي قدم لها الدعم .

كما إن حركة حماس عبارة عن حركة تحررية لا يمكنها إن تؤيد النظام السوري الذي يستخدم القوة تجاه المطالب الشعبية ،ففي حالة تأييدها للنظام السوري سيفقدها مصداقيتها على الصعيد الشعبي وهذا ما تخشاه حماس.

لذلك وجدت حماس نفسه أمام خيارين :

١. دعم الثورة السورية بمسمياتها الجيش الحر أو المعارضة السورية ، وبالتالي ستفقد الحليف المهم بالنسبة إليها والاهم هو النظام السوري ومن خلفه المحور الإيراني وحزب الله اللبناني مما يضطرها إلى مغادرة سوريا.
٢. الوقوف مع النظام السوري ودعمه بشتى أنواع الدعم وبالتالي ستفقد مصداقيتها في الشارع العربي مما سيزيد من عزلتها في محيطها العربي، وعليه وفي حال سقوط نظام الأسد سيجعل إمكانية بناء علاقة متميزة مع النظام السوري الجديد أمر في غاية الصعوبة في بداية الثورة السورية حاولت حركة حماس إن لا تلجأ إلى الخيارين السابقين ، وسعت إلى التوسط بين النظام السوري والمعارضة في سبيل حل الأزمة وعدم توسيع دائرتها بالشكل الخطير الذي هي عليه ألان ، ففي البداية سعت قيادات حماس في إقناع الأسد بإجراء إصلاحات تمنع انتقال واستفحال الثورة إلى كامل سوريا ،ولكن لم تفلح المساعي في هذا المجال ، وتوسعت الثورة وتجاوزت الخطوط الحمراء.

من هنا بدأ المأزق لحركة حماس يظهر بشكل واضح للعيان فحركة حماس أرادت الصمت والنظام السوري يطلب تأييدها عبر بيانات ولكن الحركة بدأت بالمماطلة لأنها لا تريد أن تصدر موقفاً ضد الثورة السورية ، ولا ترغب أيضاً بالوقوف ضد النظام السوري الذي دعمها لسنوات ، فرغبت بطرح خطاب سياسي وسطي ونرى هذا واضحاً في أحد بيانات الحركة مؤكدة" أننا نعد ما يحدث مسألة داخلية تتعلق بإخواننا السوريين ، رغم ذلك فإننا في حركة حماس وبحكم مبادئنا واحترامنا لإرادة وتطلعات الأمتين العربية والإسلامية نأمل بأن يتم تجاوز الظروف الراهنة بطريقة تحقق آمال وتطلعات الشعب السوري وتحافظ على استقرار سوريا وتماسكها الداخلي "، وفي بيان أخر أكدت" إن سوريا قيادة وشعباً وقفت مع مقاومة الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة ، واحتضنت

قوى المقاومة الفلسطينية وخاصة حماس وساندتها في أحلك الظروف وأصعبها" ، كما عبرت عن تأييدها لمطالب الشعب بقولها "إن ما يجري في الشأن الداخلي يخص الأخوة في سوريا، إلا أننا في حركة حماس وانطلاقاً من مبادئنا التي تحترم إرادة الشعوب العربية ، فإننا نأمل بتجاوز هذه الأزمة بما يحقق تطلعات وأماني الشعب السوري وبما يحفظ استقرار سوريا وتماسكها الداخلي ويعزز دورها في صف المواجهة والممانعة "، وهذا الموقف بطبيعة الحال لم يكن موضع ترحيب من طرفي النزاع في سوريا،وفي متابعة تطور موقف حركة حماس من الثورة السورية دعى رئيس المكتب السياسي لحركة حماس " خالد مشعل " إلى مؤتمر دعم الانتفاضة بطهران في ١تشرين الأول ٢٠١١ وطرح أفكاره بشأن ما يحدث في سوريا وفي الدول العربية إذ أثنى على خيارات الشعوب العربية بالتحرر وأكد بقوله " نحن مع سياسة عربية وإسلامية وطنية نابعة من إرادة الشعوب وقائمة على استقلالية القرار السياسي والاقتصادي والعسكري والثقافي وضد التبعية للخارج والأجنبي ، ونحن بالتأكيد ضد أي مس بالوحدة الوطنية في كل بلد ونحن ضد إثارة النعرات المذهبية والطائفية والعرقية وكل أشكال التقسيم لأبناء الوطن الواحد والأمة الواحدة ، ولكننا في ذات الوقت نحن مع الشعوب جميعاً في سعيها الدؤوب والمشروع للحرية والإصلاح والعدالة والديمقراطية ومحاربة الفساد والاستبداد وان الإنسان ولد حراً ولابد إن يعيش حراً، فالحرية التي خلقنا الله عليها لا يجوز لأحد إن يصادرها والأوطان أوطاننا العظيمة والمباركة مسؤولية كل أبنائها حكاماً ومحكومين هم شركاء في إدارة قرارها السياسي وفي سياستها وتبقى الشعوب مصدر السلطة والشرعية".

ومع تصاعد الاستخدام المفرط للقوة من قبل النظام السوري ضد الثورة الشعبية وعدم التوصل إلى اتفاقات بين طرفي الصراع في سوريا فشلت حركة حماس في إن تلعب دور الوسيط في الأزمة السورية ،لأن القضية مصيرية وليست مسألة عابرة يمكن حلها بسهولة ،فالنظام السوري أراد من حماس تأييد صريح وعليه قلصت إيران دعمها المادي لحركة حماس إزاء موقفها غير الواضح من نظام الأسد.

ونتيجة لهذه الضغوط بدأت قيادات حماس بمغادرة الأراضي السورية وهذا ما فهمته المعارضة في سوريا أنه تأييداً لها وإن الحركة اصطفت إلى جانب الثوار والثورة السورية. وتحدد موقف حركة حماس بشكل واضح من الأزمة السورية على لسان رئيس حكومة حماس في قطاع غزة " إسماعيل هنيه" في خطبة له بالجامع الأزهر في جمهورية مصر العربية ، واجاب عن التساؤلات حول هذا الموضوع هو تخلي حماس عن موقفها المحايد والمعلن الذي التزمته تجاه ما يجري في سوريا منذ تفجر الأوضاع هناك ، ففي بادرة هي الأولى حيا " هنيه" القيادي البارز في حركة حماس الشعب السوري قائلاً ((الشعب السوري البطل الذي يسعى للحرية والديمقراطية والإصلاح))، وعد هذا الحديث الصريح عما يجري في سوريا من أبرز قادة حماس أول إعلان من الحركة بانحيازها للثورة السورية وهو ما يخالف موقفها الدبلوماسي منذ اندلا ع الثورة هناك الذي التزمت به نظراً لحساسية موقفها إذ يقع مكتبها الرئيسي في دمشق حتى الآن، بخلاف وجود نصف مليون فلسطيني في سوريا، كما أكد القيادي في حماس الدكتور " صلاح البردويل " أمام تجمع حاشد بمخيم للاجئين في " خان يونس" جنوب قطاع غزة موجهاً رسالة إلى الشعوب التي لم تتحرر بعد ومازالت دماؤها تنزف يومياً ، وقال " البردويل" ((إن حماس تنزف مع كل قطرة دم تراق في سوريا))، ونتيجة لذلك نلحظ اليوم إن حركة حماس تمر بمرحلة جيدة قوامها الانفتاح على الدول العربية وقيامها بدعم الثورات العربية والإطراء على الشعوب العربية ودورها الفاعل في التحرر والتخلص التدريجي من النظم الاستبدادية .

ومما يلاحظ أيضاً على نهج الحركة من الأزمة السورية إن قيادات الحركة قد قدمت النصح للنظام السوري وهذا ما وضحه عضو المكتب السياسي لحركة حماس الدكتور " صلاح البردويل" إذ أكد بأن الحركة أوصت الرئيس السوري " بشار الأسد" بأن لا يتوسع في العامل الأمني وان يشرع في إطلاق سراح المعتقلين السياسيين وإن يدخل تعديلات على الدستور ويجري انتخابات حرة .

وفيما يتعلق عن علاقة حركة حماس بإيران وطبيعة العلاقة بينهما بعد ما حصل في سوريا، فنرى إن بيئة ما بعد الربيع العربي قد تغيرت بكل المقاييس ، فإيران تحتاج حماس أكثر مما تحتاجه حماس إيران ، وذلك لأن حركة حماس قد ترى بدرجة أو بأخرى بديلاً يقدم الدعم لها المادي والمعنوي كتركيا أو مصر أو قطر ، بالمقابل حاجة إيران إلى حركة حماس حاجة بنيوية لن تستطيع التخلي عنها بسهولة فهي حركة مقاومة تمتاز بعمق فكرها الإستراتيجي وبأنها أكثر تنظيماً من باقي حركات المقاومة وتمثل ورقة ضاغطة في تسيير مخططاتها في المنطقة العربية ، وتسيير أتجاه حركتها عند التعامل مع إسرائيل، وعليه إيران يمكن إن تتفهم موقف حماس من الثورة وعليه لن تقطع أواصر العلاقات معها بشكل نهائي فالمحور الإيراني السوري حماس حزب الله مهم جداً لملفات إيرانية لابد من حسمها مستقبلاً .

وهكذا نرى إن الربيع العربي قد أدخل المنطقة العربية في متاهات متعددة ، مقاييس الربح والخسارة غير واضحة المعالم لحد هذه اللحظة ومن بينها حركة حماس التي لا يعرف لحد الآن ما الذي ستجنيه من موقفها طبقاً لما يحصل على المستويين الإقليمي والدولي .